أثر الإمام علي الهادي عليه السلام في كتابات الرحالة والمستشرقين

الدكتور منتظر كامل منصور الكعبي
المركز الدولي للتدريب والبحث والتطوير، واشنطن، الولايات المتحدة الامريكية
montazerkamel@gmail.com

Imam Ali Al-Hadi's impact in the writings of travelers and orientalists

Dr. Montazer Kamel Mensoor Al-Kaabi
International Center for Training , Research and Development , Washington , United States of America

الملخص:-

كُتِبَ الكثير عن حياة وسيرة الإمام علي الهادي عليه السلام ولكن لم نجد أي كتابات أو مؤلفات تسلط الضوء على حياته ومواقفه وعلومه من وجهة نظر الرحالة الغربيين والمستشرقين. يأتي هذا البحث كإضافة جديدة تحاول دراسة وتحليل أثر الإمام علي الهادي في كتابات الرحالة والمستشرقين. تم مراجعة وجمع وترجمة وتحقيق مختصر لأكثر من خمسين مصدر بلغات شملت الإنكليزية والفرنسية والألمانية وقد ضمت تلك المصادر كتب الرحلات ودراسات وابحاث اكاديمية بالإضافة إلى صور تُنشر لأول مرة. تكونت الدراسة الحالية من مبحثين، ركزت المبحث الأول على أثر الإمام علي الهادي في كتب الرحلات وتناول المبحث الثاني سيرته وعلومه كما نقلها وعلق عليها المستشرقين القدماء والمعاصرين.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي الهادي، الرحالة، المستشرقون.

Abstract:-

Much has been written about the life and biography of Imam Ali al-Hadi, but we did not find any writings or publications that shed light on his life, his ideas, and his teachings from the point of view of western travelers and orientalists. This research comes as a new addition that attempts to study and analyze the impact of Imam Ali Al-Hadi in the writings of travelers and orientalists. More than fifty sources in different languages including English, French, and German were reviewed, collected, translated, and briefly investigated. These sources included travel books, academic studies and research, in addition to photographs published for the first time. The current study consisted of two sections. The first section focused on the impact of Imam Ali Al-Hadi in travel books and the second section dealt with his biography and teachings as transmitted and reported by early and contemporary orientalists.

Key words: Ali Al-Hadi, Travelers, Orientalists.

المقدمة:

كانت وما زالت شخصية الإمام علي الهادي عليه السلام موضع واهتمام أكاديمي وعلمي من قبل الرحالة الاجانب والمستشرقين. فقد أثارت شخصيته ونقاشاته وأطروحاته مع العلماء ومكانة مدينة سامراء فضول الرحالة والمستشرقين فكتبوا عن سامراء وزاروها وكانت رحلاتهم تهدف إلى التعرف على أهمية أثر الإمام في السياق الأوسع للتاريخ والمجتمع الإسلامي. يقدم البحث الحالي نظرة تحليلية نقدية وصورة مهمة في فهمنا لإرث الإمام علي الهادي عليه السلام من خلال التحقيق في أسفار وكتابات بعض الرحالة والمستشرقين.

فأدب الرحلات يُعد من اهم وأجمل أنواع النثر الأدبي فأهميته جاءت من المعلومات التاريخية والجغرافية والاجتماعية والحياتية التي قدمها الرحالة حول المناطق التي كانوا يمروا بها، واما جمال ادب الرحلات فيأتي من الأسلوب اللغوي والقصصي الذي قد يتناوله الكاتب بطريقة وصفية بسيطة قريبة من القارئ مما يجعلها مشوقة وممتعة عند القراءة.

لقد شهد العراق اهتماماً لافتاً من قبل الكثير من المستكشفين والرحالة والمستشرقين، وكان الطابع السائد على تلك الرحلات هو استكشاف آثار بلاد الرافدين ومعرفة البلاد من الناحية السياسية والجغرافية والاجتماعية. وقد كان نصيب مدينة سامراء من هذه الرحلات كثير، إذ استطعنا جمع أكثر من اربعين رحلة خلال الحقبة الممتدة من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين. وتنوعت أسباب تلك الرحلات فمنها أسباب سياسية بصفة رحلات سفراء وسياسيين يبحثون عن دور الائمة في الحياة السياسية والاجتماعية في العراق. وهناك أسباب عسكرية وأمنيّة جعلت ضباط ومسؤولين اوربيين يهتمون بمعرفة أحوال مدينة سامراء خلال العهد العثماني. وهناك رحالة جاؤوا إلى العراق بغية زيارة المراقد والتعرف على أحوال المسلمين والأضرحة الموجودة. وأخيراً، لا يمكننا ان ننسى دور المستشرقين في الكتابة عن اهل البيت وأثرها على المجتمع بصورة عامة.

المبحث الأول

أثر الإمام علي الهادي عليه السلام في كتب الرحلات

وصل الكثير من الرحالة العرب والاجانب إلى مدينة سامراء وكان جل همهم استكشاف المراقد المقدسة، وعلى الرغم من قدوم الرحالة الاندلسي ابن جبير لمدينة سامراء

في سنة (١١٨٦ م) وبقاؤه فيها لمدة يومين فإنه لم يذكر أي شيء عن مراقدها ولكن ابن بطوطة الذي زار العراق مرتين في سنة (١٣٢٦ م) وسنة (١٣٤٨م) مر بمدينة سامراء وتحدث عنها قليلا مبينا انها فقط تضم "مشهد صاحب الزمان"[١].

ومن ناحية الرحالة الأجانب، فلم نجد في الفترة ما قبل القرن السادس عشر أي نص لرحالة اوربي أو أجنبي يتحدث فيها عن سامراء أو اضرحتها. وعلى الرغم من وجود رحلة واحدة لبنيامين التطيلي Benjamin of Tudela والذي جاء إلى العراق بين سنة (١١٦٦-١١٧٢ م) والذي تحدث عن أحوال واعداد اليهود في العراق في تلك الفترة، فإنه لم يمر بمدينة سامراء خلال رحلته من الموصل إلى بغداد. وكذلك الرحالة الإيطالي ماركو بولو الذي جاء إلى العراق في عام (١٢٧١ م) ولكنه لم يتطرق إلى سامراء وذلك لإن مسار رحلته كان من حلب إلى بغداد عبر نهر الفرات[٢].

وان اول وصف لرحالة اجنبي لمرقد الإمام علي الهادي عليه السلام كان في القرن السادس عشر من قبل الادميرال التركي سيدي علي بن الحسين والمعروف أيضا باسم سيدي علي ريس وقد تناول مراقد سامراء المقدسة في رحلته إلى العراق في سنة (١٥٥٣ م)، حيث أشار إلى ذلك في كتابه "مرآة المماليك": " وفي طريقي إلى بغداد، قررت ان أعرج على مدينة سامراء لزيارة قبر الإمام علي الهادي والحسن العسكري ومن ثم مررت بقصر العاشق والمعشوق ومن هناك توجهت نحو بغداد"[٣].

ويعتبر الإنكليزي السير انطوني شيرلي اول رحالة أوربي يزور مدينة سامراء ويصف مراقدها المقدسة وذلك في سنة (١٥٩٨ م)، حيث تطرق في رحلته التي قام بها إلى المدينة قادما من بغداد مع قافلة من الزوار الايرانيين ووصل إلى سامراء في شهر تشرين الثاني من عام (١٥٩٨ م) وأشار إلى ضريح الإمام علي الهادي عليه السلام وذلك من خلال وصفه بـ"معبد أو موقع مُذّهّب بصورة فاخرة يزوره الاتراك والفُرس. وهم يأتون هنا بتفانٍ كبير من كل الاعمار والاجناس. وبقينا هناك يومين إلى ان أكمل الزوار صلواتهم وانطلقنا..."[٤].

وفي القرن السابع عشر وصف الرحالة الفرنسي جان بابتست تافرنييه سامراء ومراقدها في رحلته التي قام بها سنة (١٦٧٦ م) قادما من الموصل باتجاه بغداد، حيث أشار إلى مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام بـ"الجامع الذي لا يبعد اكثر من نصف فرسخ عن النهر،

والذي يزوره الكثير من المحمديين لغرض العبادة."[٥].

ومر القسيس الكاثوليكي الإيطالي جوزيف ماريا سبيستياني في مدينة سامراء خلال رحلته التي قام بها من بغداد إلى الموصل في عام (١٦٦٠) وقد أطلق على سامراء اسم "بغداد الثانية" ولكنه وبصورة غريبة لم يتحدث عن أي مرقد أو معلم أثري في المدينة[٦].

كما أشار الرحالة الإيطالي فينشينزو إلى الإمام علي الهادي عليه السلام خلال رحلته التي قام بها من الموصل إلى بغداد في عام (١٦٥٦)، وعلى الرغم من انه لم يسمي المدينة باسمها الصريح بل أطلق عليها وبصورة خاطئة اسم "بابل الجديدة"، فقد أشار إليها بوضوح عندما وصف المنطقة التي وصل إليها قادما من تكريت بقوله "وفي الليلة التالية، مشينا لمدة طويلة حول بقايا مدينة والتي وصلنا إليها في صباح اليوم التالي، ولاحظت ان هذه المدينة كانت مبنية على طول نهر دجلة وفيها ساحتين كبيرتين. وانا على يقين من الصوت الذي سمعته ان هنالك قبر كسرى ملك الفُرس".[٧]

وقد يقصد هنا الرحالة الإيطالي بالصوت الذي سمعه ما هو الا صوت الاذان لوقت الصلاة وان كلمة القبر (باللغة الإيطالية) sepolcro التي ذكرها فإنها تمثل مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام، والذي أشار إليه بصورة خاطئة على انه قبر كسرى ملك الفرس.

وفي بداية القرن الثامن عشر هنالك رحلة قام بها السفير العثماني في بلاد فارس، دوري أحمد أفندي، حيث زار سامراء في عام (١٧٢٠) في طريقه إلى بغداد قادما من الموصل وقد أبهره مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام وأشار لمدينة سامراء إلى انها "تقع على مسافة يومين من بغداد وهي تضم جامع جميل على شكل هرم وفي هذه المدينة أماكن مشهورة للعبادة."[٨].

وفي عام (١٧٢٧) قام الشيخ مصطفى البكري وهو فقيه واديب وشاعر ورحالة من بلاد الشام برحلة إلى العراق ومر بسامراء فتحدث في رحلته: "ثم انا وصلنا في صباح يوم السبت إلى سر من رأى، المنبئة المسرة، أرضها أي نبت ولاحتنا انوار قبة سيدي الإمام الحسن العسكري ذات الجمال الناري، وقبة والده سيدي الإمام علي الهادي، عليهما الرضا التام ما ارتوى بالوصال هادي."[٩].

وفي رحلة لعبد الكريم خوجة، وهو مؤرخ ورحالة من كشمير، مر بسامراء في طريقه من بغداد إلى حلب في عام (١٧٤٠): "من بغداد مررنا بسر من رأى والتي تسمى بالدارجة سامرا. وهنا زرنا ضريح الإمام علي النقي والحسن العسكري، واللذان دُفنا في منزلهما، وهذين الضريحين من أفخم وأعظم الأبنية. وان المكان الذي يعتقد الشيعة ان الإمام المهدي مختفي فيه يقع في قبو في أحد الزوايا."[١٠].

وفي آذار من عام (١٧٦٦) مر الرحالة الألماني كارستن نيبور بمدينة سامراء ووصف مراقدها المقدسة قائلا: "سامراء مدينة مهمة لإن العديد من الخلفاء سكنوا فيها وعاش فيها ثلاثة من أبرز أئمة الشيعة والتي قبورهم ما زالت تُزار من قبل الفُرس."[١١].

وقد وصف الرحالة الإيطالي دومينيكو سيستيني سامراء واضرحتها المقدسة في رحلته عندما كان مسافرا من الموصل باتجاه بغداد عبر نهر دجلة في عام (١٧٨٢)، حيث وصف المدينة بإنها تقع على يسار النهر واطلق عليها اسم "امام سامراء" Imam Samurlu نسبة لمرقد العسكريين.[١٢]

وفي بداية القرن التاسع عشر وبالتحديد في عام (١٨٠٣) قام ميرزا أبو طالب خان، وهو رحالة هندي كان يعمل في شركة الهند الشرقية، بزيارة سامراء حيث أشار إلى ذلك في رحلته قائلا: "ومن مسافة أربع فراسخ من سامراء تتلألأ عيوننا برؤية الاضرحة المقدسة للإمام العاشر والامام الحادي عشر عليهم سلام الله.... وفي المساء دخلنا سامراء والتي تُسمى بسر من رأى، ويقع فيها ضريح الإمام علي الهادي الذي بناه أحمد خان دنبلي. وهذا الضريح ضخم ومنارته عالية وقبته أكبر من تلك الموجودة في كربلاء أو النجف أو الكاظمين، ولكنها ليست مُذهبة ولا يُقارن جمال بنائها بالأضرحة السابقة الذكر. وفي داخل الضريح، يوجد صندوق خشبي كبير أو تابوت يضم قبور أربعة أولياء وهم: علي الهادي، والحسن العسكري، ونرجس خاتون وهي ام المهدي الإمام الثاني عشر، وأبنة علي الهادي. وعلى مسافة رمية سهم من الضريح يوجد مغار والذي اختفى فيه الإمام المهدي. ولا يوجد أي تغيير على بناية المغار ولكن هنالك قبة بُنيت عليه."[١٣].

وفي عام (١٨٠٥) قام الكولونيل وينترتن، وهو ضابط في الجيش البريطاني، برحلة للعراق ومر بسامراء عندما كان قادما من الموصل إلى بغداد عبر النهر. وبين في رحلته

"هنالك بعض من القبور لزعماء عرب والكثير من الخرائب. وهذه المدينة تسمى بغداد القديمة والتي كان يسكنها الخلفاء. توقفنا هنا وذلك لأن الرياح كانت قوية جدا ولأنه كان يجب علينا ان نحرس أنفسنا وبضائعنا من العرب ومن الأسود والتي كنا نسمع زئيرها كل دقيقة، بالإضافة إلى أصوات الكاراكال[١٤]."[١٥] واشارته لكلمة القبور كان يعني بها ضريح الإمام علي الهادي عليه السلام.

وفي عام (١٨٠٧) قام الرحالة الفرنسي أدريان دوبريه بزيارة سامراء حيث تحدث عن اهمية مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام قائلا:" وتقع بغداد جنوب بغداد القديمة والتي تُسمى اليوم سامراء واسمها جاء نسبة إلى قبر قديس مسلم. وهذا القبر يقع داخل جامع وهو يجذب جموع غفيرة من الزوار الشيعة."[١٦].

ومر بسامراء أيضا الرحالة الفرنسي جان بابتست لوي جاك روسو في عام (١٨٠٩) حيث أشار إلى الإمام علي الهادي عليه السلام في رحلته، مبيناً ان:" سامراء اليوم عبارة عن مكان مهدم وشبه مهجور، ويأتيها الفُرس من اجل التعبد والصلاة في قبر أحد أئمتهم المقدسين الذين نالوا تاج الشهادة هناك."[١٧].

ووصف الرحالة الأسكتلندي جون ماكدونالد كينير سامراء مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام على الرغم من الخطأ الذي وقع فيه حين نسبه إلى الإمام المهدي عندما زار المدينة في شهر آب من عام (١٨١٣) قائلا:" يبلغ عدد سكانها حوالي الفي شخص. وكانت سامراء المقر المُفضل لعدة خلفاء عباسيين، ولا تزال بقايا المدينة القديمة تغطي مساحة شاسعة من الأراضي، والمكان الأبرز هناك هو قبر ومقام الإمام محمد المهدي المدفون في سامراء، وهو بناء جميل من الطابوق فيه قبتان ومنارتان مُزينة بالبلاط المُزجج، وهي ذات منظر جميل خصوصا عندما تسطع عليها اشعة الشمس."[١٨].

وهنا لا بد ان نشير ان الرحالة كينير قد أخطأ في نسبة القبر إلى الإمام المهدي مثله مثل الكثيرين من الرحالة الأجانب الذين زاروا المدينة في القرون الماضية وكتبوا عنها ولم يستطيعوا تحديد الأسماء بصورة صحيحة فقد يكون جهلهم باللغة احد الأسباب التي جعلتهم يخطئون أو انهم قد سمعوا هذا الاسم من اشخاص آخرين نقلوه اليهم بصورة خاطئة.

وفي رحلة كلوديوس جيمس رِچ، وهو المُقيم (أي السفير) البريطاني في العراق، قام بها في عام (١٨١٦) ومر بسامراء قادما من الموصل باتجاه بغداد تحدث عن مدينة سامراء قائلا عنها: "والمدينة الحديثة حجمها بنفس حجم تكريت." وأعطى وصفا لملوية سامراء وبعض آثارها ولكنه لم يتطرق إلى مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام في كتاب رحلته المنشور سنة (١٨٣٦).[١٩] الا ان كونستانس الكساندر نشرت في كتابها "بغداد في الأيام الخوالي" المطبوع سنة (١٩٢٨) بعض من مذكرات رِچ والتي تحدثت فيها عن المرقد نقلا عن مذكرات رِچ قائلةً: "كانت سامراء مكان له أهمية، والفُرس يعتبرونها مقدسة، لإنها مكان الدفن لثلاثة من أئمتهم – الإمام علي النقي والحسن العسكري، والاعظم فيهم كلهم الإمام المهدي، سيد الازمان، الذي اختفى هنا ولا يزال، كما يُزعم، انه يعيش في بئر وسوف يظهر مرة ثانية في آخر الزمان. وكان قد تم بناء جامع جديد مؤخرا وبقربه حمام وخان لإيواء الزوار على نفقة أحد الإيرانيين المتدينين"[٢٠].

وقد رافق رِچ في رحلته أحد الموظفين الذين كانوا يعملون معه في المقيمية البريطانية في بغداد واسمه السيد محمد بن احمد الحسيني المنشئ البغدادي وقد عُرف أيضا باسم السيد محمد اغا الفارسي. وقد دون رحلته تلك في كتابه "رحلة المنشئ البغدادي" مشيراً إلى سامراء: "ومن المزارات فيها مزار الإمام علي النقي، والامام حسن العسكري، ومحل غيبة الإمام محمد المهدي. وفي كل سنة يبلغ زوار الشيعة من العرب والعجم نحو ثلاثين الفا يأتون إلى هذه المشاهد للزيارة."[٢١].

وفي رحلة جيمس فيلكس جونز، وكان ضابطا في الجيش البريطاني، التي قام بها إلى العراق في عام (١٨٤٦) تحدث بالتفصيل عن سامراء ومرقد الإمام علي الهادي عليه السلام، حيث بين ان: "مدينة سامراء الحديثة محاطة بسور قوي تم بناؤه بفضل تبرعات من شيعة الهند. وعندما زرت سامراء في عام (١٨٤٣) فإن ذلك السور كان قد تم البدء فيه. وهي اليوم مدينة بائسة وتُعزى اهميتها بصورة رئيسية إلى قبرين جميلين تعلوهما قبتين، والقبة الأكبر تم انشاؤها على رُفات الإمام الحسن العسكري. وقد تم ترميمها مؤخرا، واعتقد انها كانت سابقا مغطاة بالذهب مثل قبة الكاظمين وكربلاء والنجف. وقبة العسكري اليوم ناصعة البياض. وان الأموال الحالية غير كافية لتُرجع القبة إلى بريقها السابق. والقبة الصغرى أو قبة الإمام المهدي فهي شديدة الروعة، مزخرفة بصورة جميلة بإزهار بيضاء وصفراء على

خلفية لونها اخضر مزرق. والامام المهدي هو آخر الائمة، يُقدسه الشيعة بصورة كبيرة، ويُقال انه اختفى من الأرض في هذه البقعة. وهناك حفرة كبيرة، التي تم إنشاء هذا الصرح عليها، تُشير إلى المكان الذي يُعتقد انه سيظهر منها في المستقبل. لذلك فهي مقدسة من قبل المحمديين وبصورة خاصة من قبل الشيعة. حيث يأتي الزوار سنويا من جميع انحاء بلاد فارس إلى هذا المكان. وقد قِيلَ لي ان هنالك عشرة الاف زائر كمعدل سنوي يصل إلى هذه البقعة المقدسة. ولكنني اميل للاعتقاد بإن هذا الرقم اقل من الواقع. ولا توجد ضريبة على الزوار هنا(٢٢).

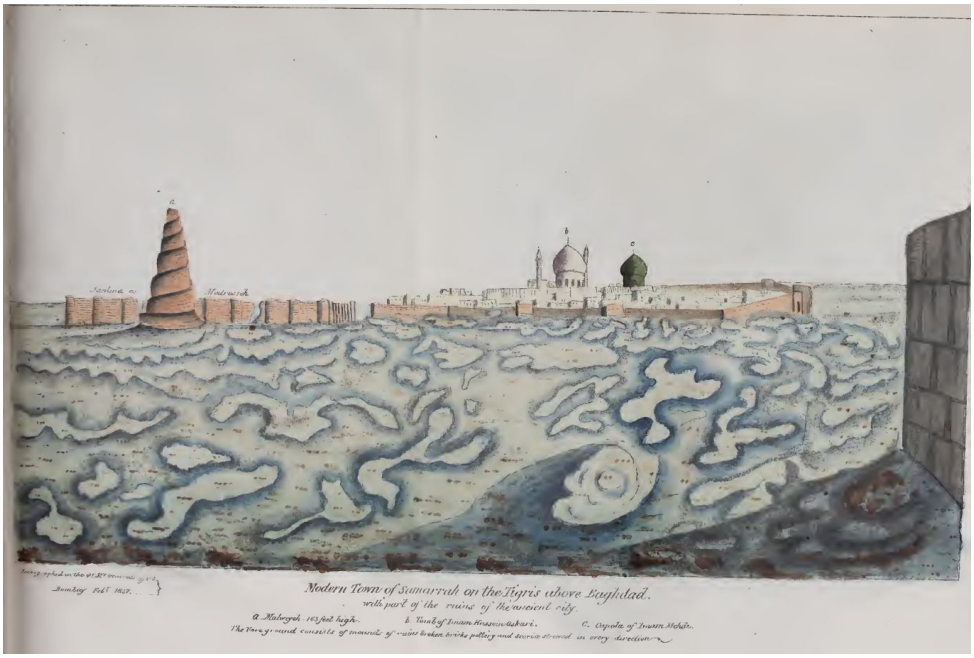

مدينة سامراء ومراقدها المقدسة كما رسمها الرحالة البريطاني جونز (١٨٤٦)

ويعدُّ الدكتور هنري لوبديل، وهو مبشر مسيحي في المجلس المسيحي الأمريكي في الموصل، اول رحالة امريكي يزور سامراء ويتحدث عن مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام وذلك عندما مر بها خلال رحلته التي قام بها في عام (١٨٥٢) من الموصل إلى بغداد. وقد أشار في رحلته إلى سامراء ومراقدها المقدسة بقوله: "وبدأ يظهر الينا من بعيد برج سامراء وهو يشبه بالضبط برج بابل الذي كنا نراه في كتب الأطفال الملونة. وهو برج حلزوني يتناقص بشكل تدريجي نحو القمة. انه برج اسطوري بحق. وبالقرب منه يوجد جامع فيه

منارات، وتحيط بذلك الجامع عدة مئات من البيوت القديمة. ويقوم الشيعة بإداء مراسيم الزيارة لهذا الجامع المدفون فيه بعض من آخر الائمة."[٢٣].

وفي عام (١٨٦٤) مر بمدينة سامراء الرحالة البريطاني جون آشر وكتب عن مراقدها في كتابه " رحلة من لندن إلى برسبوليس: من ضمنها داغستان، جورجيا، أرمينية، كردستان، وبلاد فارس"، قائلا: " مررنا بسامراء وهي مدينة ليست صغيرة وسكانها كثيرون. وتميزت تلك المدينة بوجود برج عالي جدا قد يصل ارتفاعه إلى مئتي قدم تحيطه بقايا آثار. وهذه المدينة يقدسها الفُرس لإنها تضم بعض من مراقد الائمة من نسل علي ومن اهم هذه المزارات مرقد الإمام الثاني عشر، الإمام المهدي."[٢٤].

وفي عام (١٨٦٧) مر الرحالة الهولندي تينكو مارتينيس ليكلاما نيجهولت بمدينة سامراء ووصفها ومراقدها المقدسة في كتابه الذي نشره في عام (١٨٧٢)، وتحدث عن سامراء مبينا انها: "مبنية على مجموعة من تلال صخرية، يحيطها سور، والمدينة تضم مدفن لثلاثة أولياء من المسلمين يقدسهم الشيعة بصورة كبيرة. الأول هو الإمام علي النقي، والأخر ابنه الإمام الحسن العسكري، والثالث حفيده المُسمى بصاحب الزمان وهو الأشهر لما تتناقله الروايات والاخبار عن اختفائه الخارق للطبيعة. وقد أعلن ملك بلاد فارس قبل عدة شهور انه سيرسل هدية من الواح سميكة من الذهب لتذهيب قبة صاحب الزمان. وان هذه الهدية يُتوقع ان تصل خلال أيام قليلة. ان قبة صاحب الزمان وغطائها الخزفي تُعطي صورة جميلة، ولكن قبة الإمام الحسن العسكري مشوهة الشكل وآيلة للسقوط. وهذان الجامعان لهما ساحتين كبيرتين ولم يُسمح لي بالدخول."[٢٥].

وفي رحلة إلى العراق قام بها فيليب فان نيس مايرز، وهو مؤرخ أمريكي، في عام (١٨٧١) تحدث بالتفصيل عن مدينة سامراء ومراقدها المقدسة، حيث أشار في رحلته: "بينما كان الأهالي مشغولون بإصلاح الكلك الذي كنا راكبين فيه، قمنا بزيارة قرية سامراء والتي كانت تبعُد عنا مسافة ميلين، هناك حيث يوجد مرقدين مشهورين جميلين للمحمديين الشيعة، وهما مكانان ذا قدسية وشهرة عظيمة ولهما زوار كثيرون. أحدهما ذو قبة مُذهبة جميلة ترتفع بعلو شاهق وواضح خلال الصحراء الفسيحة، وهذه القُبة تضم قبر الإمام الحسن العسكري، وتعود القُبة الأخرى للإمام المهدي، آخر الائمة، والذي يقدسه شيعة

بلاد فارس. وهناك سور منيع تم بناؤه بفضل شيعة الهند يحمي كنوز الاضرحة من غارات البدو. وقد تم ادخالنا عبر بوابات مغطاة بألواح حديدية سميكة وقد لاحظنا المكان كان مزدحما وما هو الا عبارة عن قرية عربية بائسة تجتمع حول المساجد الرائعة، وهي المنطقة المقدسة التي لم يُسمح لنا بالاقتراب منها. وقد ذكرني هذا المنظر بتدمر، حيث تمتزج العظمة والبؤس في اغرب طريقة."(٢٦).

وفي رحلة قام بها ماكس ثيلمان، وهو دبلوماسي وكاتب الماني، إلى سامراء في عام (١٨٧٢) أشار إلى انها "مدينة صغيرة تعتبر مكان مقدس جدا للزوار الشيعة، وهي مثل لؤلؤة على شاطئ بحر. والجامعان اللذان يزينان المدينة من بين اروع نماذج العمارة التي شاهدتها على الاطلاق. واحد تلك الجوامع تعلوه قُبة محفوظة جيداً ومرصعة بالكامل بالبلاط الفارسي المزجج الشهير بألوان مختلفة وتصميمات جميلة، في حين أن الجامع الاخر لا يحتوي فقط على قبة، ولكنها أيضًا مغطاة بالذهب، ولهذا الجامع مئذنتان رفيعتان ترتفعان على جانبه."(٢٧).

وتحدث الرحالة وعالم الآثار الإنكليزي جورج سميث عن سامراء في رحلته التي قام بها في عام (١٨٧٣) من الموصل إلى بغداد عبر نهر دجلة: "مررنا ببلدة سامراء ورأينا القُبة المُذهبة لجامعها تتلألأ تحت الشمس."(٢٨).

ومن الرحلات المهمة التي وصفت مدينة سامراء ومراقدها المقدسة رحلة ترستام جيمس الس التي قام بها في عام (١٨٨٠) قادما من الموصل إلى بغداد راكبا كلك عبر نهر دجلة. وعن سامراء قال في رحلته: "توقفنا لبعض الوقت في سامراء، وفي سامراء جامعين مشهورين، أحدهما له قُبة ذهبية كبيرة استطعنا رؤيتها من مسافة بعيدة جدا. والقُبة الأخرى مكسوة ببلاط مُزجّج ملون بصورة جميلة على نمط يشبه الوشاح الهندي. واردنا استكشاف بناية الجامع فحاولنا الدخول من البوابة ولكن سُكان المدينة أبدوا انزعاجهم وغضبهم عندما راونا نتقدم نحو البوابة وبدأوا بالصياح عندما مددت راسي داخل البوابة. وقمنا بزيارة القائم مقام ومن سطح بيته استطعنا التمعن جيدا في الجامعين. وهما يعودان للطائفة الشيعية، وهما مقدسان لدرجة كبيرة، وذلك لإن أثنين من احفاد الإمام علي مدفونين هناك. إن سُكان المدينة يعتمدون في عيشهم بالكامل على الزوار الذين يأتون من بلاد

فارس، وشرق الجزيرة العربية، وحتى من أماكن بعيدة جدا كشمال الهند. وهنالك منارتان جميلتان متصلتان بالجامع ذو القبة الذهبية وهما مغطاتان بالبلاط من الأسفل إلى الأعلى. وأحدهما غير مكتملة، حيث ان القبة النحاسية التي من المفترض ان تشكل تشطيبات العمل النهائية للجامعين لم تُكتمل لحد الان. وهناك اسطورة محلية تقول ان الشخص الذي قام ببناء الجامع رأى حُلما انه عندما ينتهي من بناء الجامع بأكمله فإنه سيموت، لذلك ترك أحد القبب غير مكتملة. واسوار المدينة مبنية من الطابوق الأصفر، وقد تم المحافظة عليها والاعتناء بها بشكل مثير للإعجاب وهذه الاسوار ضرورية للحماية من البدو."[٢٩].

كما أشار الرحالة الإنكليزي فيرني لوفيت كاميرون الذي مر بمدينة سامراء في عام (١٨٧٩) إلى ان "سامراء مدينة مهمة حيث يأتيها أكثر من ثلاثين ألف زائر سنويا من المسلمين الشيعة."[٣٠].

وكانت مدينة سامراء احدى المحطات التي مر بها هرمز رسام، وهو كاتب ومتخصص بعلم الاشوريات، خلال رحلته من الموصل إلى بغداد في عام (١٨٨٠)، ووصف المدينة قائلا: "تقع مدينة سامراء على الضفة اليسرى لنهر دجلة، وهي مشهورة تاريخيا ولكنها اليوم هي مكان مخصص للزيارة الدينية للفُرس والمسلمين الشيعة حيث تضم رفاة آخر الائمة من نسل علي، وقبة ومنارات الجامع مُزينة بالبلاط المصقول وسقوف مُذهبة. واما المدينة فهي في حال يُرثى لها واغلب البيوت عبارة عن سقائف شبه مُهدمة."[٣١].

ولكن الفرنسي اونري بنديه الذي جاء إلى العراق في عام (١٨٨٥) ومر بمدينة سامراء قادما من الموصل وصفها قائلا: "كانت مدينة مزدهرة وكبيرة في عهد الخلفاء وهي اليوم مكان غير مهم. والجامع هو مكان الزيارة للشيعة، وهو المكان الذي دُفِنَ فيه اخر امام من نسل علي، وهو أيضا المكان الذي اختفى فيه الإمام المهدي الذي سيظهر في اخر الزمان كمنقذ."[٣٢].

وفي عام (١٨٨٥) مر بسامراء عالي بك وكان يشغل منصب مدير الديون العمومية في الدولة العثمانية وأشار في رحلته إلى ان سامراء: "تعتبر من أكبر المزارات الشيعية لوجود قبور الإمام علي الهادي وابنه الحسن العسكري، واخت علي الهادي السيدة حليمة، وزوجة الحسن العسكري السيدة نرجس. ويفد إلى المدينة كل عام زوار كثيرون، والقبور

المدفون بها هؤلاء الائمة المذكورون مزينة للغاية، فالقبر الواحد يبدو وكأنه جامع كبير وغُطيت القبة بالكامل بالذهب بدل من الرصاص، حيث يُرى ضياء تلك القبة كالشمس من على مسافة عدة ساعات، وقد زُينت تلك القبور بأروع الزينات الإيرانية والهندية، ويوجد بجوار قبر الإمام علي الهادي جامع بنفس حجم الضريح، وقد زُينت قبة الجامع وجدرانه الخارجية بقطع القاشاني الملونة، ويوجد بالجامع بئر يُقال ان الإمام المهدي اختفى فيه."(٣٣).

وفي رحلة إلى العراق قام بها پيير بونافيدين، القنصل الروسي في بغداد، في عام (١٨٨٩)، وصف مدينة سامراء بإنها: "مدينة صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها ٢٧٥٠ نسمة وهنا يوجد قبر الإمام المهدي، آخر الائمة، الذي يعتقد الشيعة انه سيظهر في آخر الزمان مع عيسى المسيح، وهنا أيضا يتم جلب الموتى لدفنهم. وتجتذب هذه المدينة العديد من الزوار. ويعتبر مسجد سامراء أقل ثراءً مقارنةً بجامع كربلاء والنجف."(٣٤).

وفي رحلة ألبرت بلونار، وهو أكاديمي فرنسي، مر بمدينة سامراء في عام (١٨٨٩) قادما من بغداد وتحدث عن المدينة قائلا: "في اليوم الثاني مررنا بسامراء وجامعها الشهير. وهي اليوم مجرد قرية غير مهمة. ولكن بحسب اعتقاد الشيعة، فإن سامراء لها مستقبل عظيم، حيث من هذه المدينة سيظهر المهدي والذي سيكون مثل المسيح المُنتظر."(٣٥).

ومن الرحلات المهمة التي تناولت الحديث عن مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام، رحلة الفرنسي بول مولر سيمون في عام (١٨٨٩)، حيث أشار إلى ان سامراء "هي احدى المدن المقدسة للمسلمين الشيعة. ومن مسافة بعيدة، تخطف انظارنا قبة الجامع المقدس. لهذه القبة شكل يشبه زهرة التيوليب مثل العمارة الإسلامية في الهند وبأسلوب فارسي حديث. والقبة وقاعدتها مغطاة بالكامل بالبلاط المذهب التي تتلألأ بصورة جميلة تحت اشعة الشمس. بالإضافة إلى المنارات المُزينة بصورة رائعة. وقد دعانا أحد رجال الدين لدخول الجامع لكننا رفضنا لكيلا نُزعِج الزوار في صلواتهم."(٣٦).

وفي رحلة ماكس فون اوبنهايم، وهو مؤرخ ودبلوماسي وعالم آثار الماني، التي قام بها في عام (١٨٩٤) إلى العراق، تحدث عن مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام في كتابه " من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج الفارسي عبر حوران والصحراء السورية وبلاد ما بين النهرين" وأشار إلى ان سامراء "مدينة مقدسة بصورة خاصة عند الشيعة، وان الزوار الشيعة تحملوا

تكاليف بناء اسوار المدينة لحمايتها من هجمات البدو والاكراد. ومدينة سامراء مكان لزيارة قبور الائمة المقدسين علي الهادي والحسن العسكري ومحمد المهدي المنتظر. وتُعتبر زيارة هذه المراقد مقدسة وواجبة عند الشيعة كالحج إلى مكة. وقد تم ترميم الحضرة قبل بضع سنوات بفضل تبرعات ناصر الدين شاه حاكم بلاد فارس والذي بفضله أصبحت القبة ذهبية وتم إضافة زخارف غنية بالخزف على الطراز الفارسي."(٣٧).

وخلال رحلة لفريدريك كون وهو مبشر مسيحي امريكي إلى العراق في عام (١٨٩٧) مر بطريقة بمدينة سامراء قادما من الموصل واشار إلى مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام: "ما يجعل هذه المكان مهما اليوم هي الاضرحة والزيارة والتي يعتبرها المسلمون الشيعة مقدسة للغاية."(٣٨).

وقام فؤاد مظفر تزايكوفسكي، المفتش العسكري للإمبراطورية العثمانية، برحلة إلى العراق في عام (١٨٩٨) ومر بسامراء وتحدث عن مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام في رحلته قائلا: "سامراء اليوم قرية غير مهمة، ولكن مسجدها العظيم بقبته المُذهبة ومنارته المنقوشة بالخزف المُلون والزخارف والمرايا اللماعة هي التي تجذب العديد من الزوار الفُرس الذين يبجلون هذا المكان بقُدسية كبيرة ويحافظون عليه."(٣٩).

وتحدث المستشرق الألماني ادوارد زاخاو عن اهمية مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام خلال رحلته إلى مدينة سامراء في شباط من عام (١٨٩٨) قائلاً: "مدينة مقدسة عند الشيعة، حيث يوجد سرداب الإمام الثاني عشر والأخير للشيعة والذي سيظهر يوما ما ليوحد العالم تحت رايته، وفي سامراء مدفون أيضا الإمام العاشر والامام الحادي عشر. وهذان الضريحان المقدسان لا يمكن دخولهما لغير المسلمين، وهما اعجوبة من العمارة الفارسية الإسلامية. والقبة الكبيرة لاحد الاضرحة مغطاة بألواح من الذهب، والجدران الخارجية مُزينة بصورة فنية بِفسيفساء وطابوق مُلون. وتعتبر الزيارة السنوية التي يقوم بها الزوار الفُرس مهمة جدا بالنسبة إليهم. ولو كانت هذه الاعاجيب المعمارية الشيعية في كربلاء والنجف والكاظمين وسامراء موجودة في اوربا فستكون قِبلة للناظرين ولكل مُحبي الفن."(٤٠).

مراقد سامراء المقدسة بعدسة الرحالة ادوارد زاخاو (شباط ١٨٩٨)

واستمرت رحلات المستكشفين والمهتمين بتراث ومراقد سامراء حتى مطلع القرن العشرين، ومن تلك الرحلات رحلة عالم الاثار البريطاني ريجينالد ثومسون في عام (١٩٠٤) والتي توقف في مدينة سامراء خلال سفره من الموصل إلى بغداد وقد ابهرته المراقد المقدسة في سامراء حيث أشار اليها بقوله: "وقبل منتصف النهار، ظهرت القبة الذهبية العظيمة للمسجد تلمع من مسافة بعيدة."(٤١).

ومرت بمدينة سامراء الرحالة الإنكليزية فكتوريا باكستر في عام (١٩٠٤) حيث وصفت المدينة قائلة: "مررنا بسامراء احدى المدن المقدسة للشيعة ورأينا القبة الذهبية لمرقد الإمام الثاني عشر، ولكننا لم نستطيع الدخول إلى المدينة والاقتراب من الجامع بسبب منع الأهالي لنا من الوصول بالقرب من المرقد."(٤٢).

وقد كان للامام علي الهادي عليه السلام اثر كبير على عالم الاثار الالماني إيرنست هيرتسفيلد حين مر بمدينة سامراء في عام ١٩٠٤ فقد شدته العمارة والبناء الاثري للمرقد الشريف واثارت طريقة التذهيب للقبة اهتمامه فقرر دراسة آثار مدينة سامراء منذ ذلك الوقت فاصبح من اهم من كتب عن المعالم الاثرية في ذلك الوقت(٤٣).

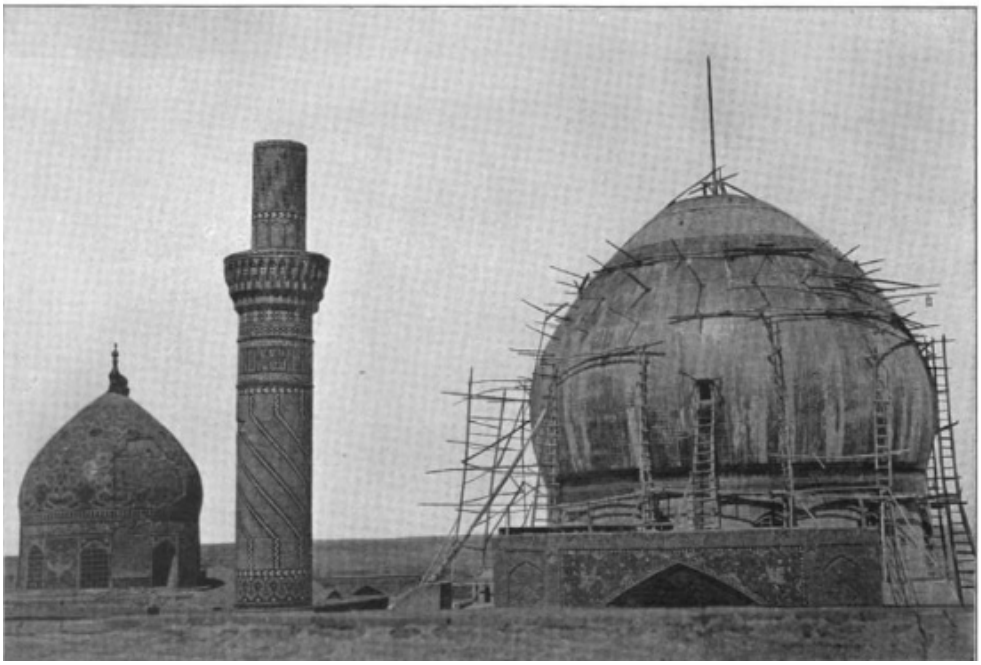

مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام بعدسة إيرنست هيرتسفيلد عام ١٩٠٤

وفي رحلة قام بها إيلي بانستر سون، وكان ضابطا في الجيش البريطاني مهمته جمع المعلومات عن العراق، في عام (١٩٠٧) وصف مدينة سامراء بإنها "مكان كبير على جرف صخري يحدها نهر دجلة، وهي من أكثر المدن قداسة في العراق لإن الإمام العاشر والامام الحادي عشر للشيعة عاشا وتوفيا هنا. بالإضافة إلى الإمام الثاني عشر المهدي الذي اختفى في قبو في سامراء. والمكانة الدينية لسامراء إضافة لأهميتها التاريخية وجامعها الجميل جدا وقبته الذهبية هي التي تجعل من المدينة مكانا مفضلا للزيارة للشيعة وللسنة."(٤٤).

بينما تحدثت المؤلفة البريطانية لويزا ويلكنز عن مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام خلال زيارتها لمدينة سامراء عام (١٩٠٨) في كتابها " طريق الصحراء إلى بغداد" قائلة: "وبدأت تلوح لنا في الأفق البعيد سامراء وهي مدينة اشتهرت بجامعها ذو القبة الزرقاء العظيمة، وهي مكان مخصص للزيارة الدينية للطائفة الشيعية."(٤٥).

وفي رحلة لمدينة سامراء قام بها الصحفي والكاتب البريطاني كيفن يانك في عام (١٩٧٧) وصف مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام ب"الضريح الذي يهيمن على المدينة

الصغيرة، والاضرحة في سامراء تعطي انطباعا غريبا يختلف عن ما نشاهده في النجف أو كربلاء أو الكاظمين. فعند النظر إلى البوابة الرئيسية للضريح، ترى واجهة فاتحة اللون رائعة من أنماط بيضاء وزرقاء وفيروزية مرتبة بشكل جميل، والقبة الذهبية تبدو خارجها مثل الشجرة. والمئذنة من الذهب أيضا من الأعلى للأسفل، وهناك أيضًا برج ساعة مطلي بالذهب. والفناء واسع وجدرانه البيضاء - غير الزخرفة - محاطة ببلاط صغير ذو لون أزرق بحري. ولهذا السبب فإن التأثير الكامل لهذا المسجد يعطي انطباعا سحريا وجديدا. وحتى عند النظر إلى الجامع من الخارج فلا يكاد يوجد أي شيء يربك العين."[٤٦].

لقد كان مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام من اهم المعالم التي جذبت الرحالة الأجانب إلى مدينة سامراء. ومن خلال مراجعة الرحلات السابقة الذكر أعلاه، نرى ان الرحالة الاوربيين قد اهتموا بوصف مرقد العسكريين ولكن بعضهم قد أخطأ في نسبة المراقد أو الأسماء، أضافة إلى تركيزهم على وصف زوار المراقد المقدسة بسامراء بإنهم من "الفُرس" وهذا خطأ كبير وقع فيه أكثر الرحالة في وصفهم، ففي أحد اهم الكتب التاريخية "أراضي الخلافة الشرقية" للمستشرق البريطاني المعروف گاي لو سترينج أشار وبصورة خاطئة إلى الإمام علي الهادي بإنه "علي العسكري وابنه الحسن".[٤٧] وقد يكون ذلك وكما ذكرنا سابقا بسبب جهلهم أو عدم تمكنهم بصورة كاملة من اللغة العربية أو الثقافة الإسلامية إضافة لقلة معلوماتهم بالتنوع الاثني والتركيبة السكانية للمنطقة بصورة عامة. كما انهم اختلفوا في وصف الاضرحة المقدسة فمنهم من وصفه بالقبر وآخرين صوروه بالمعبد ومنهم من وصفها بالمدفن.

المبحث الثاني

أثر الإمام علي الهادي عليه السلام في المستشرقين

لقد حاول المستشرقون، فهم وتفسير اثر الإمام علي الهادي على الفكر الاستشراقي من خلال جوانب مختلفة، يتشكل كل منها من خلال السياقات الفكرية والثقافية والسياسية. فنرى منهم من ركز على جانب التحليل التاريخي لشخصيته. حيث ان الكثير من الباحثين والمستشرقين انخرطوا في السياق التاريخي المحيط بحياة الإمام علي الهادي، ولا سيما علاقته مع الخلافة العباسية والديناميكيات الاجتماعية والسياسية في عصره. وقد تعكس كتاباتهم

محاولات لوضع الإمام علي الهادي ضمن روايات تاريخية أوسع. ومن أهم أولئك المستشرقين نذكر المستشرق الانكليزي بيرسي سايكس والذي تحدث في كتابه "مجد العالم الشيعي" عن امامة علي الهادي عليه السلام وسجنه من قبل الخلفاء العباسيين.(٤٨).

وهناك بعض المستشرقين من ركز على دراسات السيرة الذاتية، فقام العديد منهم بدراسة حياة الإمام علي الهادي، سعياً إلى إعادة بناء حياته وتراثه من المصادر التاريخية. غالبًا ما تضمنت هذه الكتابات تحليلًا نقديًا للنصوص الأولية. وفي جانب التحليل العقائدي والفقهي، جذبت أهمية الإمام علي الهادي اهتمام العلماء والمستشرقين المهتمين باللاهوت والفقه الإسلامي. وتناول بعض المستشرقين الإمام من منظور ديني مقارن، حيث قاموا بتحليل أوجه التشابه والتباين بين الإسلام الشيعي والتقاليد الدينية الأخرى. قد تسلط هذه الكتابات الضوء على السمات العقائدية الفريدة للمعتقد الشيعي الاثني عشري، مثل مفهوم الإمامة والتسلسل الهرمي الروحي للأئمة الاثني عشر، كما جسدها الإمام علي الهادي(٤٩).

بالإضافة إلى التركيز على الأبعاد السياسية لحياة الإمام علي الهادي، بما في ذلك مقاومته للسلطة العباسية وجهوده في بناء المجتمع، والتي أثارت اهتمام العلماء المستشرقين المهتمين بالتاريخ السياسي الإسلامي والحركات الدينية-الاجتماعية. وكما اشار اليها المستشرق الامريكي المعاصر ماثيو بيرس بان مثل هذه الدراسات والابحاث قد تحاول النظر في الجوانب الفكرية السياسية لإمامة علي الهادي واثرها في تشكيل الهوية الشيعية، والنشاط السياسي، والمعارضة الدينية داخل العالم الإسلامي في العصر العباسي(٥٠).

ومن الملاحظ ان اهتمامات الكثير من المستشرقين ومؤلفاتهم انصبت حول الفترة التي مرت بعد استشهاد الإمام الرضا وخلافة الإمام محمد الجواد وبعده الإمام علي الهادي وهذا يعود لسبب الاهتمام بالحياة السياسية والاجتماعية التي مرت بها الدولة العباسية في ذلك الوقت واهمية الدور الديني والسياسي الذي لعبه الإمام علي الهادي بعد انتقال العاصمة العباسية من بغداد إلى سامراء. فنرى زيادة الاهتمام بتلك المدينة لكونها ضمت مراقد الائمة الاطهار والذي كان لهم دور محوري وبارز في اظهار تأثيرهم المباشر على الناس والضعف والفتور السياسي الذي عاشته الدولة العباسية في تلك الفترة(٥١).

قد يكون المستشرق الانكليزي ادوارد سيل من اوائل من كتبوا عن سيرة الإمام علي

الهادي عليه السلام بصورة مهنية اكاديمية. فلم نجد مستشرق قبله تناول هذا الموضوع بصورة مهنية بالطريقة التي بينها وكتب عنها في مؤلفه المعروف "الائمة الاثنا عشر" المنشور في عام ١٩٢٣. ومن المثير للاهتمام ان نرى ان طريقة تناوله لسيرة الإمام كانت معتدلة ومنصفة للغاية اذا ما قارناها مع اسلوب المستشرقين في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين والذي تميز بالدس وعدم الانصاف في كتاباتهم خصوصا حول اهل البيت عليهم السلام (٥٢).

وجاء من بعده المستشرق الانكليزي دوايت دونالدسن في كتابه "العقيدة الشيعية في العراق وايران" والذي نشر في عام ١٩٣٣. وقد تحدث بالتفصيل في ذلك الكتاب عن حياة وسيرة الإمام علي الهادي عليه السلام وكان مهتماً بالمناظرات والمناقشات التي حدثت بينه وبين المتوكل بالاضافة إلى المعجزات التي قام بها الإمام اثناء فترة امامته(٥٣).

ومن اهم من تناول سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام المستشرق الالماني ولفرد ماديلونك، حيث تحدث عن الدور السياسي للامام خلال حكم المتوكل ووصوله إلى مدينة سامراء وبقاءه فيها إلى حين استشهاده. كذلك اشار ماديلونك إلى المعجزات الكثيرة التي اظهرها الإمام، ومعرفته باللغات الاجنبية كالفارسية والهندية والسلافية وغيرها كثير(٥٤).

كما خصص المستشرق الامريكي بيرنارد لويس مقالة في دائرة المعارف الإسلامية عن حياة الإمام علي الهادي عليه السلام معتمداً على المصادر الإسلامية المعروفة، وقد ذكر خبر استشهاده عن طريق السم من قبل الخليفة العباسي(٥٥).

وفي أرشيف المستشرق والمؤرخ الإنكليزي كيبيل كريسويل، الذي قام بزيارة سامراء في عام (١٩٣٠) ووثق مراقدها المقدسة، الكثير من الصور والمخططات والخرائط التوضيحية لمرقد الإمام علي الهادي عليه السلام وقد كان هدفه من زيارة المدينة استكشاف معالمها والتعرف على اهمية المراقد المقدسة فيها من خلال التقاطه لصور كثيرة مما جعلها من اهم المصادر الصورية لمراقد وآثار سامراء في ذلك الوقت(٥٦).

مرقد الإمام علي الهادي بعدسة كريسويل في عام (١٩٣٠)

وقبل كريسويل، كانت الرحالة والمستشرقة الانكليزية جيرترود بيل شديدة التأثر بالمراقد المقدسة في سامرائ وقد تمكنت من التقاط بعض الصور المهمة للضريح في وقت لم يتمكن احد غيرها من توثيق تلك المراقد وتم نشر تلك الصور في كتابها "رسائل جرترود بل" المنشور في عام (١٩٢٧)[٥٧].

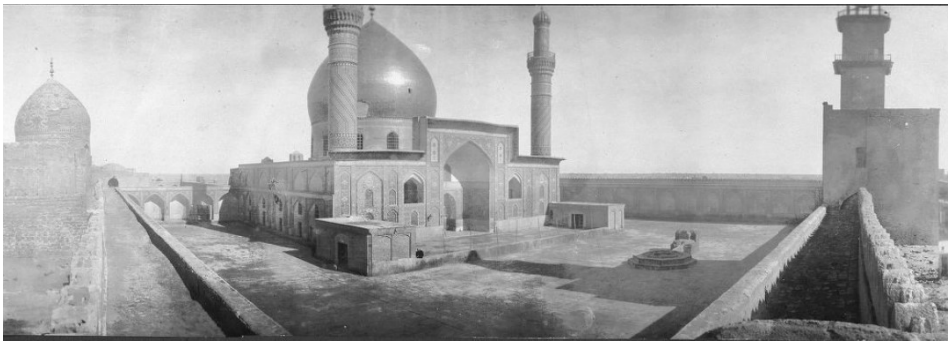

مرقد الإمام علي الهادي بعدسة جيرترود بيل في عام (١٩١٧)

بينما تناولت المستشرقة البريطانية شونا واردروب اثر الإمام علي الهادي عليه السلام على تطور التشيع والحياة السياسية في العصر العباسي وذلك من خلال اطروحتها التي ناقشت فيها سيرة الإمام وامامته واهم ما مر بها من حوادث(٥٨).

ومن المثير للاهتمام رؤية بعض المستشرقين والكتاب الغربيين التركيز على شخصية الإمام علي الهادي عليه السلام حين تناولهم لموضوع الغيبة والامام المهدي وفكرة المنقذ في الإسلام وبقية الاديان السماوية. فقد اشار بعض من هؤلاء المستشرقين إلى إمامة الهادي واهميتها رغم استشهاده وهو صغير السن وسجنه لفترة طويلة من الزمن(٥٩).

كما يرى عدد من الكتاب والمستشرقين ان اثر المراقد المقدسة في سامراء هي من جعلها محط اهتمام الرحالة الاجانب والمستشرقين وان لولا هذه المراقد لما عُرِفَت المدينة(٦٠).

وقد اهتم العلماء والمستشرقين في الوقت نفسه بالزيارة التي كان يقوم بها المسلمين من كافة انحاء العالم الإسلامي إلى مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام، فيقول عالم الجغرافيا والمستشرق الامريكي جون كالفن سميث في كتابه "معجم هاربر لاحصاء العالم" والذي صدر في عام ١٨٥٥ "ان سامراء مدينة لها مرقدان جميلان ذوا قبتان ويقدسهما المسلمين الشيعة بصورة كبيرة، وهم يزوروها بما لا يقل عن ١٠٠٠٠ زائر في السنة"(٦١).

وبين المستشرق البريطاني كاي لو سترينج في وصفه للمناطق في شمال بغداد "ان سامراء التي كانت عاصمة للدولة العباسية تحولت بعدما هجرها العباسيون إلى مدينة شبه مهجورة ولكن الزوار الشيعة احيوها من جديد واصبحت بفضلهم وبفضل مراقدها قبلة للزوار"(٦٢).

الخاتمة:

تبين من خلال البحث الحالي:

قيام أكثر من اربعين رحالة أجنبي ومستشرق خلال القرون الماضية بزيارة مدينة سامراء والكتابة عنها متأثرين بسيرة الإمام علي الهادي عليه السلام بالإضافة إلى اهتمامهم بالاطلاع على آثار المدينة وتاريخها وكان الهدف من تلك الرحلات يختلف من شخص إلى آخر. فقد كان بعض من تلك الرحلات ذات طابع سياسي وأخرى هدفها أمنى لجمع المعلومات وهناك من جاء فقط للتعرف على المدينة ومشاهدة المرقد الشريف. ولكن كل

أولئك الرحالة والمستشرقين بمختلف اتجاهاتهم وميولهم وطبيعة عملهم كانوا شديدي التأثر بالإمام علي الهادي عليه السلام وسيرته وتاريخه. الامر الذي انعكس بشكل واضح على كتاباتهم وآرائهم وبصورة خاصة عندما كانوا يتحدثون عن حياته واستشهاده. وتبقى مثل هذه الرحلات مصدرا غنيا جدا لكل من يريد التعرف على التاريخ السياسي والاجتماعي لمدينة سامراء ومرقد الإمام علي الهادي عليه السلام. كما تبين من خلال هذا البحث معرفة الاهمية التاريخية والجغرافية والاجتماعية والدينية لمدينة سامراء ومرقد الإمام علي الهادي عليه السلام من خلال الاطلاع على ما تركه الرحالة الأجانب والمستشرقين في كتاباتهم، فقد أوضحت تلك الرحلات القيمة الحضارية والتاريخية والاجتماعية لمرقد العسكريين. فقد اشارت تلك الرحلات إلى ان المراقد المقدسة في سامراء كانت هي السبب في إحياء وانتعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمدينة وذلك بسبب التوافد الكبير لأعداد الزوار الشيعة من كافة الدول الإسلامية من اجل التبرك بهذه الاضرحة المقدسة. فسامراء كمدينة وعاصمة الخلافة العباسية لم تدم طويلا اذ لم يبلغ عمرها نصف قرن فماتت واندثرت، الا ان سامراء كمدينة تضم مراقد الائمة الاطهار هي من استمرت ودامت وازدهرت وقد أكد ذلك الكثير من الرحالة والمستشرقين خلال القرون الماضية في رحلاتهم واسفارهم.

هوامش البحث

(١) ابن بطوطة، ج١، ص١٧٨

(٢) منصور، ٢٠٢٣، ص٤

(3) Reis, 1899, p.6
(4) Ross,2004, p.89
(5) Tavernier, 1678, p. 83
(6) Sebastiani, 1672, p.226
(7) Murchio, 1683, p.85
(8) Dourry Effendy, 2013, p.100

(٩) الكيلاني، ٢٠١٠، ص

(10) Galdwin,1788, p.121
(11) Niebuhr, 1778, p. 355
(12) Sestini, 1786, p. 170
(13) Abu Talib Khan, 2009, p.320

(١٤) الكاراكال هو نوع من القطط البرية ويسمى أيضا بعناق الأرض.

(15) Wilkinson, 1806, p. 160
(16) Dupré, 1819, p. 140
(17)Rousseau, 1809, p.83
(18) Kinneir, 1818, p.471
(19)Rich, 1836, p. 151
(20)Alexander, 1928, p.240

(٢١) الحسيني ، ١٩٤٨، ص٨٨

(22)Jones, 1857, p. 12
(23)Lobdell, 1859, p.371
(24) Ussher, 1865, p.436
(25)Nijeholt, 1874, p.380
(26) Myers, 1875, p. 162
(27) Thielmann,1875,p.139
(28)Smith, 1875, p.53
(29)Ellis, 1881, p.120
(30)Cameron, 1880, p.196
(31)Rassam, 1897, p.186
(32)Binder, 1887, p. 287

(٣٣) عالي بك ، ٢٠١٥ ، ص٦٩

(34)Ponafidine,1911 , p. 108
(35)Bleunard, 1889, p. 104
(36)Müller-Simonis, 1897, p. 308
(37) Von Oppenheim, 1900, p.226
(38)Coan, 1898, p. 194
(39) Czaykowski, 1901, p. 178
(40)Sachau, 1900, p. 86
(41)Thompson, 1915, p. 138
(42)Victoria, & Allardyce, 1904, p.153
(43) Herzfeld, 1907, p. 1
(44)Soane, 1910, p.364
(45)Wilkins, 1908, p. 270
(46)Young,1980 , p. 95
(47) Le strange, 1905, p.56
(48) Sykes, 1910, p. 38
(49) Wardrop, 1988, p. 69
(50) Pierce, 2016, p. 48
(51)Kennedy, 2016, p. 112
(52)Sell, 1923, p. 41
(53)Donaldson, 1933, p. 209
(54)Madelung, 1985, 861
(55)Lewis,1986, p. 713
(56)Anastasio, 2023, p.52
(57) Bell, 1927, p. 62

(58)Wardrop, 1988, p. 96
(59)Bogle, 1998, p. 77
(60)Panjwani, 2012, p. 12
(61)Smith, 1855, p.1541
(62)Le Strange, 1922, p .

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن بطوطة. (٢٠٠٢). رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار. بيروت: دار الشرق العربي.
٢. الحسيني، محمد ابن احمد. (١٩٤٨). رحلة المنشئ البغدادي، نقلها عن الفارسية عباس العزاوي. بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة.
٣. عالي بك. (٢٠١٥). رحلة عالي بك إلى العراق العثماني والهند (ترجمة محمد حرب). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
٤. الكيلاني، السيد ميعاد شرف الدين. (٢٠١٠). كشط الصدأ وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان للشيخ مصطفى الدمشقي. بيروت: دار الكتب العلمية.
٥. منصور، منتظر. (٢٠٢٣). اربع رحلات استكشافية إلى العراق في القرن التاسع عشر. دار اوراق.

6. Abu Talib Khan. (2009). Travels of Mirza Abu Taleb Khan in Asia, Africa, and Europe, during the years 1799, 1800, 1801, 1802, and 1803 translated by Charles Stewart; edited by Daniel O'Quinn. Broadview Press.
7. Alexander, C. M. (1928). Baghdad in Bygone Days: From the Journals and Correspondence of Claudius Rich, Traveller, Artist, Linguist, Antiquary, and British Resident at Baghdad, 1808-1821. J. Murray.
8. Anastasio, S. (2023). Mesopotamia, Syria and Transjordan in the Archibald Creswell Photograph Collection of the Biblioteca Berenson. Archaeopress Publishing Limited.
9. Bell, Lady Florence, ed. (1927). The Letters of Gertrude Bell. London: Ernest Benn Ltd.
10. Binder, H. (1887). Au Kurdistan: En Mesopotamie Et en Perse. Maison Quantin, Paris.
11. Bleunard, A. (1889). Babylon electrified. Gebbie & Co. Publishers, Philadelphia.
12. Bogle, E. C. (1998). Islam: origin and belief. University of Texas Press.
13. Cameron, V.L. (1880) "My Travels in Mesopotamia, Especially with Reference to a Proposed Indo-Mediterranean Railway", Royal United Services Institution. Journal, 24:105, 189-207, DOI:10.1080/03071848009417149
14. Coan, F.G. (1898). Yesterdays in Persia and Kurdistan. Saunders studio press.
15. Czaykowski, F.B.M. (1901). Une visite aux haras d'asie mineure' par les deux routes de Constantinople a Badad. Le tour de mond, Jan.
16. Dourry Ahmed Effendy. (2013). Relation de Dourry Efendy, Ambassadeur de la Porte Ottomane Auprès Du Roi de Perse: Traduite Du Turk Et Suivie de l'Extrait Des Voyages de Pétis de. Hachette Livre. Paris.

17. Dupré, A. (1819). Voyage en Perse: fait dans les années 1807, 1808 et 1809, en traversant la Natolie et la Mésopotamie, depuis Constantinople jusqu'à l'extremité du golfe Persique, et de là à Iréwan. J.G. Dentu.
18. Ellis, T.J. (1881). On a Raft, and Through the Desert. Field & Tuer.
19. Galdwin, F. (1788). The memoirs of Khojeh Abdulkurreem. William Mackay. Calcutta.
20. Herzfeld, E. (1907). Samarra: aufnahmen und untersuchungen zur islamischen archaeologie. Behrend
21. Jean-Baptiste Tavernier. (1678). The six voyages of Jean Baptista Tavernier through Turkey into Persia and the East-Indies. (Translated by J. Phillips). R. L & M. P. London.
22. Jones, J.F. (1857). Memoirs by Commander James Felix Jones, I.N. Steam-Trip to the North of Baghdad, in April 1846; with notes of various objects of interest en route. Thomas R. Hughes.
23. Kennedy, H. (2016). The early Abbasid Caliphate: a political history. Routledge.
24. Kinneir, J. M. (1818). Journey through Asia Minor, Armenia, and Koordistan in the years 1813 and 1814: with remarks on the marches of Alexander and retreat of the ten thousand. Murray.
25. Le strange, G. (1905). The Lands of the Eastern Caliphate: Mesopotamia, Persia, and Central Asia, from the Moslem Conquest to the Time of Timur. New York: Barnes & Noble, Inc.
26. Le Strange, Guy (1922). Baghdad during the Abbasid Caliphate: from contemporary Arabic and Persian sources.
27. Lewis, B. (1986). Al-Askari. In: Encyclopedia of Islam (2nd edition). Leiden.
28. Lobdell, H. (1859). Memoir of Rev. Henry Lobdell, M.D. late missionary of the American board at Mosul: including the early history of the Assyrian mission. The American Tract Society.
29. Madelung, W. (1985). "ʿALĪ AL-HĀDĪ," Encyclopædia Iranica, I/8, pp. 861-862.
30. Müller-Simonis, P. (1897). Vom Kaukasus zum Persischen Meerbusen, durch Armenien, Kurdistan und Mesopotamien. Kirchheim.
31. Murchio, V. M. (1683). Il viaggio all'Indie orientali del padre f. Vincenzo Maria di s. Caterina da Siena. Appresso Giacomo Zattoni.
32. Myers, P.V.N. (1875). Remains of Lost Empires: Sketches of the Ruins of Palmyra, Nineveh, Babylon, and Persepolis, with Some Notes on India and the Cashmerian Himalayas. Harper & Brothers.
33. Niebuhr, Carsten. (1778). Carsten Niebuhrs Reisebeschreibung nach Arabien und andern umliegenden Ländern (Band 2).
34. Nijeholt, T. L. (1874). Voyage en Russie, au Caucase et en Perse, dans la Mésopotamie, le Kurdistan, la Syrie, la Palestine et la Turquie, exécuté pendant les années 1865, 1866, 1867 et 1868 (Vol. 3). Arthus Bertrand.
35. Panjwani, I. (Ed.). (2012). The Shi'a of Samarra: The Heritage and Politics of a Community in Iraq. Bloomsbury Publishing.
36. Pierce, M. (2016). Twelve infallible men: The Imams and the making of Shi'ism. Harvard University Press.
37. Ponafidine, P. (1911). Life in the Moslem east. (Translated from Russian by Emma Cochran Ponafidine). Dodd, Mead and Company. NY.

38. Rassam, H. (1897). Asshur and the Land of Nimrod. New York: Eaton & Mains.
39. Reis, S. A. (1899). The Travels and Adventures of the Turkish Admiral Sidi Ali Reïs: In India, Afghanistan, Central Asia, and Persia, During the Years 1553-1556. Luzac.
40. Rich, C.J. (1836). Narrative of a Residence in Koordistan, and on the Site of Ancient Nineveh: With Journal of a Voyage Down the Tigris to Bagdad and an Account of a Visit to Shirauz and Persepolis, (Vol. 2). J. Duncan.
41. Ross, E. D. (Ed.). (2004). Sir Anthony Sherley and His Persian Adventure. Routledge.
42. Rousseau, J. B. L. J. (1809). Description du pachalik de Bagdad: suivie d'une notice historique sur les Wahabis, et de quelques autres pièces relatives à l'histoire et à la littérature de l'Orient. Treuttel et Würtz.
43. Sachau, E. (1900). Am Euphrat und Tigris. J.C. Hinrichs'sche Buchhandlung, Leipzig.
44. Sebastiani, G.M. (1672). Seconda speditione all'Indie Orientali di monsignor Sebastiani fr. Giuseppe di S. Maria dell'Ordine de' carmelitani scalzi... Ordinata da Alessandro 7. di gloriosa memoria. nella stamperia di Filippo M. Mancini.
45. Sestini, D. (1786). Viaggio di ritorno da Bassora a Costantinopoli fatto dall'abate Domenico Sestini accademico fiorentino.
46. Smith, C.S. (1855). Harper's statistical gazetteer of the world. Harper & Bros.
47. Smith, G. (1875). Assyrian discoveries: An Account of Explorations and Discoveries on the Site of Nineveh, During 1873 to 1874. Sampson Low, Marston, Low and Searle. London.
48. Soane, E.B. (1910). To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise. Small Maynard & Company Publishers. London.
49. Sykes, P. M., Sykes, P., & Khān, K. B. A. D. (1910). The Glory of the Shia World: The Tale of Pilgrimage, Tr. & Ed. from a Persian Manuscript. Macmillan and Company, limited.
50. Thielmann, M. (1875). Journey in the Caucasus, Persia, and Turkey in Asia (Vol.2). Translated by Charles Heneage. John Murray, London.
51. Thompson, R.C. (1915). A pilgrim's scrip. John Lane Co. NY.
52. Ussher, J. (1865). A Journey from London to Persepolis: Including Wanderings in Daghestan, Georgia, Armenia, Kurdistan, Mesopotamia, and Persia. London: Hurst & Blackett publishers.
53. Von Oppenheim, M. F. (1900). Vom Mittelmeer zum Persischen Golf durch den Haurän, die Syrische Wüste und Mesopotamien (Vol. 2). D. Reimer (E. Vohsen).
54. Wardrop, S. (1988). The lives of the imams Muhammed AL-Jawad and Ali Al-Hadi. (PhD thesis, University of Edinburgh).
55. Wilkinson, C. (1806). A Tour Through Asia Minor and the Greek Islands: With an Account of the Inhabitants, Natural Productions, and Curiosities: for the Instruction and Amusement of Youth. Darton and Harvey.
56. Wilkins, L.J. (1908). By Desert Ways to Baghdad. T. F. Unwin.
57. Young, G. (1980). Iraq: Land of two rivers. Collins.